

دروس في علم الأصول

[45] مبادئ عامة تأسيس الاصل عند الشك في الحجية: الدليل إذا كان قطعيًا فهو حجة على أساس حجية القطع، وإذا لم يكن كذلك فإن قام دليل قطعي على حجته اخذ به، وأما إذا لم يكن قطعيًا وشك في جعل الحجية له شرعًا مع عدم قيام الدليل على ذلك، فالأصل فيه عدم الحجية. ونعني بهذا الأصل أن احتمال الحجية ليس له أثر عملي وأن كل ما كان مرجعًا لتحديد الموقف بقطع النظر عن هذا الاحتمال يظل هو المرجع معه أيضًا، ولتوضيح ذلك نطبق هذه الفكرة على خبر محتمل الحجية يدل على وجوب الدعاء عند رؤية الهلال مثلاً، وفي مقابلة البراءة العقلية - قاعدة قبح العقاب بلا بيان - عند من يقول بها والبراءة الشرعية والاستصحاب وإطلاق دليل اجتهادي تفرض دلالة على عدم وجوب الدعاء. أما البراءة العقلية فلو قيل بها كانت مرجعًا مع احتمال حجية الخبر أيضًا، لأن احتمال الحجية لا يكمل البيان والا لتم باحتمال الحكم الواقعي، ولو أنكرناها وقلنا إن كل حكم ينتج بالاحتمال ما لم يقطع بالترخيص الظاهري في مخالفته، فالواقع منجز باحتماله من دون أثر لاحتمال الحجية. وأما البراءة الشرعية فإطلاق دليلها شامل لموارد احتمال الحجية أيضًا، لأن موضوعها عدم العلم بالتكليف الواقعي وهو ثابت مع احتمال الحجية أيضًا، بل حتى مع قيام الدليل على الحجية. غير
